

## كتب

## سياسة

## جمال مبارك «اختراع» مر عليه الزمن؟

يكشف عنها تبعاً. لكن قبل ذلك، يرصد الصحافي المصري الصيغة التي تسرب بها جمال مبارك إلى الحياة السياسية، ويات «شبح» خلافته لوالده إحدى أبرز النقاط الموضوعية على جدول أعمال النخب المصرية.

ما يميز كتاب طعيمة، الذي لقي رواجاً لافتاً (طبعته الخامسة صدرت أخيراً عن «دار الثقافة الجديدة»)، أنه يحفل بمعلومات وتحليلات خصبة، من مصادر متنوعة، لما عاشته مصر في العقد الأخير. لذلك، لا يعجب القارئ وهو يكتشف أن صنع الله إبراهيم، الروائي المولع بالتوثيق، هو الذي يقدم للكتاب بحماسة لافتة، مشيراً إلى أن أهميته تأتي من كونه أول عمل يوثق فضيحة التوريث، ويلقي الضوء على الكثير من تجلياتها وشخصياتها.

يسجل الكتاب، كما يرصد صاحب «ذات»، «أول ظهور لجمال مبارك في الإعلام في عام 1998 والخطوات التي صحبت إعداده للدور المقبل، بدءاً من لقبه كرئيس لجمعية «المستقبل» وعضويته المجلس الرئاسي المصري الأميركي، حتى السيطرة على الحزب الوطني والحملة عبر لجنة السياسات التي اخترعها، وتفصيل الصراع الذي نشب بين الحرسين القديم والجديد داخل الحزب الحاكم».

تلك المعلومات قد يعرفها اليوم القارئ المتابع لهذا الملف الشائك. غير أن الحقيقة التي لا يعلمها كثيرون أن المؤلف كان أول من خاض في هذا المستنقع، من خلال تحقيقاته المتتابعة في صحيفة «العربي الناصري»، في وقت كان الاقتراب فيه من العائلة الحاكمة من المحظورات. كذلك كان من أوائل من تناولوا دور زوجة الرئيس المنتخب في الحياة السياسية، وربما أول من تحدث عن اللواء عمر سليمان الذي ما زال يُعد من الشخصيات الغامضة في الحياة السياسية،

السياسات. وأبرز هؤلاء محمد كمال الذي يشغل منصب أمين الثقيف، وغيره من الكوادر الذين لا ينكر المؤلف كفاءتهم. لكن أصحاب تلك الكفاءات اختاروا أن يكونوا شهود الزور في تلك الصفقة «المشبوقة». علي الدين هلال الدسوقي دافع عن التحولات التي عاشها الحزب الحاكم في النزاع بين أجياله، مؤكداً أن الشباب يسرون «نحو طريق ثالث كجسر بين الحزب بطرازه القديم والراديكاليين»، فيما تجاهل أن «المناخ السياسي العام ظل قمعياً». إلى جانب الدسوقي، يكشف طعيمة المولع بالنبش في الأضابير «المسكوت عنه»،

ولعل أبرز فصول الكتاب جاء بعنوان «دولة ما بعد 5 مارس»، وفيه يكشف المؤلف السيناريوات التي راجت إعلامياً لحكم مصر، في أعقاب الأزمة الصحية التي طالت مبارك الأب. يومذاك، ظهر جلياً أن وجوهاً جديدة قادرة على تقديم نفسها في هذا الموقع، وكان أبرزها الرئيس السابق لوكالة الطاقة الذرية محمد البرادعي. ويقر المؤلف في الختام بأن جمال ورط منذ البداية في لعبة ليست له، سواء بورقة حزب «المستقبل» المؤؤود التي صاغها أسامة الباز، أو بورقة تحرير النظام السياسي من العسكريتاريا، كأول حاكم «مدني» يعتليه منذ 1952، وفق «ترويجة» صاغها أسامة الغزالي حرب قبل انتقاله إلى المعسكر الضد.

لكن كل ذلك لا يمنع أن الخلاف ما زال قائماً بشدة على اسم الرئيس المقبل في بلد جمال عبد الناصر، ولا سيما أن المؤسسة الأقوى في مصر لها كلمتها التي لا يمكن تجاهلها. أمام تناقضات من هذا النوع، لم يكن أمام قطار التوريث سوى التراجع مؤقتاً بعدما فوجئ بأن هناك «قوة أخرى» في البلد. فد «الأم» و«الابن» لا يعرفان «الشارع»، ولا يريانه أصلاً.

بطلانة الإعلاميين الجدد الذين ساندوا خطوات مبارك الابن، رغم أن ممثلهم عدوا قضية التوريث «مفتعلة». وانتهى المؤلف إلى الإقرار بأن الإعلام الحكومي والمستقل أيضاً لم يكن بعيداً عن الدفع بسيناريو التوريث. في الكواليس، كان ثمة صراع انتهى، وأقرز صحفاً موالية لمبارك الابن، وصحافيين داعمين لخطواته، معتبرين أن الموالاة شرط للصعود. كذلك يرى المؤلف أن صحف رجال الأعمال التي ظهرت اعتباراً من عام 2003 دعمت الفريق الذي قاده الابن داخل الحزب الحاكم، وعد نفسه إصلاحياً. والمنطق نفسه تبناه الممثل عادل إمام الذي ناشد مبارك الابن «ترشيح نفسه للرئاسة

وأول من أشار إلى حديث جمال مبارك الشهير في كانون الثاني (يناير) 1999، واعتراف الأب في 1993 بمشاركة ابنه في شراء ديون مصر الخارجية وبيعها.

ولا يخفي طعيمة انحيازه طوال صفحات الكتاب إلى دور مصر القومي، إذ يربط بين تراجع هذا الدور وانتكاسات كثيرة عاشتها مصر في الداخل. في ظل حكم الأب ثم بالشراكة مع الابن - بتعبير المؤلف - تاكل الرصيد الاقتصادي والسياسي والإقليمي والاجتماعي والثقافي و«الانتمائي» للبلد. وإذا كان الأب لم يعرّف «رجل الدولة»، فالابن وفريقه يتصرفان كأنها «مخطوفة»، متعاونين على النهب الفوضوي. إلا أن توابع شراكة الأب والابن المدمرة، حرّكت بعض أركان الدولة من داخل، للتحذير ثم الاعتراض المباشر الذي قيل إنه أوقف محاولة تنفيذ التوريث في تشرين الثاني (نوفمبر) 2008.

في الكتاب وقوف ذكي على عصب التحولات التي عاشتها مصر، وإشارة إلى أصحاب الأدوار المعلنة والخفية في الترويج لحضور مبارك الابن. كذلك يقف عند المصائر التي أدت إلى غياب بعضهم أو انتقاله إلى المعسكر المضاد، كما حصل مع أسامة الغزالي حرب أو «صانع العفريت» الذي بدأ شريكاً وانتهى معارضاً، يصف من يركبون قاطرة الابن بـ«العناصر الانتهازية»، علماً بأنه كان أول من صنع حصان طروادة الذي شق به جمال مبارك طريقه إلى الحياة السياسيّة، ولخص خطابه الإعلامي الذي يحتكر تبني الإصلاح المدني بعيداً عن الحرس القديم، ومؤسّسات الدولة العقيمة.

ويكشف المؤلف الدور الذي أدّاه أستاذ العلوم السياسية علي الدين هلال الدسوقي الذي تولى حقيبة وزارة الشباب لفترة قصيرة، تفرّغ بعدها لإعداد الابن وتأهيله ومده بالكوادر الموجودة في أمانة



«جمهورية آل مبارك» من الكتب السياسيّة التي عرفت اهتماماً متواصلاً، منذ نشره في عام 2005. عودة إلى الكتاب الذي صدرت طبعته الخامسة (المزيدة والمحدثة) في القاهرة، وفيه يفكك محمد طعيمة تلك الآلة الجهنميّة التي أدخلت بلد جمال عبد الناصر في كابوس التوريث، بتواطؤ من شخصيات مرموقة باعت روحها للشيطان

سيد محمود

هل انتهى سيناريو «توريث الحكم» في مصر؟ سؤال لا يجيب عنه محمد طعيمة بطريقة قاطعة، وإن كان كتابه «جمهورية آل مبارك» ينتهي إلى إشارات واضحة تكشف تراجع هذا السيناريو لأسباب

## رواية

## طاهر الزهراني «البداهة» في زمن العولمة

صلاح حسن

من يقرأ الروايات السعودية الشابة هذه الأيام، يشعر بالحراك الذي يعيشه المجتمع السعودي في السنوات الأخيرة. لكن اللافت هو النقد الموجه إلى المجتمع التقليدي أو «المجتمع البدوي» بعاداته القديمة التي لم تعد تتماشى مع مقتضيات العصر الحديث.

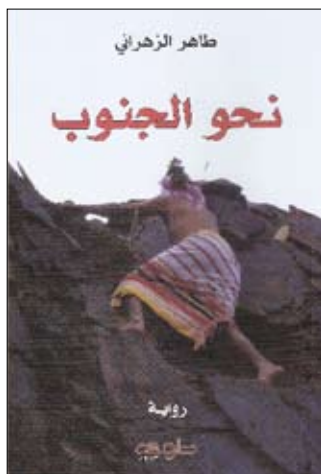
الروائي السعودي الشاب طاهر الزهراني يقدم في روايته «نحو الجنوب» (دار طوى) مجتمع الجنوب السعودي بكل ما فيه من «قذارات» على حد تعبيره. تتناول الرواية قصة شاب يعيش في الجهة الشمالية من المملكة، وتحديداً في جدة الكبيرة والمنفتحة إلى حد ما. عابث وكسول، ومولع بقراءة الكتب وعاطل من العمل. لهذه الأسباب، يقرر أبوه إرساله إلى الجنوب كي يصبح رجلاً حقيقياً على الطريقة التقليدية البدوية. في

بيت جده الذي يعد من أكثر الرجال تمسكاً بالتقاليد الأصيلة، يجد الشاب أنه ضحية مؤامرة ستجعله يكفر بكل تلك التقاليد البالية بعد أن يتجرّع أنواعاً من العذاب في تلك البيئة الجبلية الجرداء من كل شيء. لحظة وصول الشاب إلى بيت جده الصامت مثل صنم، يتفقد المكان الذي قسم إلى طبقتين: الأسفل للماشية والأعلى للنوم. وخارج هذا المبنى الصلد، عراء الجبال بصخورها القاسية. هذا هو الفضاء الذي سيتحرّك فيه الشاب الذي لا يعرف أصول الديرة والقبيلة والمرجلة. وما سوف يجبر على القيام به، هو التعذيب بعينه. أول صفة يتلقاها من جده حين ينزح حذاءه من قدميه ويقطعه بسكينه التقليديّة التي يحملها جميع الرجال الحقيقيين.

التطرف الذي يحصل في القرية يقابله تفكك في المدينة. والنتيجة تراجع الائتلاف إلى الحضيض على

المستوى الاجتماعي. إذ إن الرسالة التي تصل إلى الشاب زهران من أحد أصدقائه القدامى في جدة، تحمل أخباراً غير سارة عن الحارة التي كان يعيش فيها. وأكثر هذه الأخبار سوءاً هروب البنات خوفاً من تزويجهن من رجال كبار وكريهين إلى درجة البشاعة. وأكثر من ذلك، فإن الفتيات اللواتي يتزوجونهن يبقين عذراوات! يحاول الروائي هنا كغيره من الكتاب الجدد الإشارة إلى تقاليد لم تعد مرغوبة في ظل العولمة التي اجتاحت العالم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً. لكن السلطة البطريكية هناك ما زالت مهيمنة ومدعومة بالمال والشرع وأشياء أخرى كثيرة.

كتبت الرواية بلغة سلسة وبسيطة لا بلاغة فيها، وزمنها خطي متواصل مثل سيرة ذاتية متصاعدة في الزمن، باستثناء فصل قصير كتابية عن «فلاش باك» ترويهِ شخصية لا أحد يعرف إن كانت ذكراً أم أنثى. لكنها



أنثى بشعة على كل حال، جؤلها المجتمع الذكوري إلى مسخ لأن المرأة عاهة في نظر هذا المجتمع. يشعر القارئ بالنفس القصير للكاتب الذي يعترف بذلك في بداية الرواية، فيقسمها إلى فصول قصيرة كي لا يفلت منه حبل الروي أو القص.

كذلك خلال رحلة زهران إلى القرية على الطريق الساحلية، ترد جملة تقول ما معناه أن هناك طريقين للسيارات: واحدة للمسلمين، وأخرى لغيرهم. وفي ذلك إشارة واضحة إلى عنصرية حادة لم تستطع هذه المنطقة التخلص منها بعد. هذا ما كناقد أشرنا إليه من عملية النقد الجريئة التي يمارسها الكاتب في المملكة. على أي حال، الرواية وأعدت في أفكارها، قد تمثل انتفاضة صغيرة في محيط صغير، لكنها مغامرة جميلة ستبعتها مغامرات أخرى في المستقبل، وقد تكون لحظة جديدة في هذا الحراك المستمر.

انتفاضة صغيرة  
ستبعتها مغامرات  
أخرى في المستقبل